

## القرآنيون وشبهاتهم (1-2)

### بقلم عبد الآخر حماد

الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد

فمنذ أن بعث الله تعالى رسوله بالهدى ودين الحق والمسلمون جميعاً يعلمون أن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما المرجعية العليا للمسلمين في كل أمور دينهم، إذ لا يتم معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بأن يعلم المسلم أنه مطالب بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم مخالفة أمره .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم تحذيراً قاطعاً من التفرقة بين الكتاب والسنة والقول بأنه لا يلزمنا إلا العمل بالقرآن وحده كما في حديث المقدم بن معدي كرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يجل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ) [ أخرجه أبو داود (4604) واللفظ له والترمذي (2664) وابن ماجه (12) وهو صحيح كما قال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود].

ومع ذلك فإننا لا نزال نسمع بين الوقت والآخر من يطلع علينا بدعوة غريبة مفادها أن المسلم ملزم فقط باتباع القرآن الكريم دون سنة النبي صلى الله عليه وسلم وكثيراً ما يطلق أولئك القوم على أنفسهم أو يطلق عليهم اسم القرآنيين ، وهم يسلكون في سبيل إثبات دعوتهم تلك مسالك شتى ما بين التشكيك في ثبوت السنة النبوية الشريفة والزعم بأن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم هي فقط تبليغ القرآن إلينا وأنه بناء على ذلك فلسنا ملزمين باتباع ما شرعه صلى الله عليه وسلم ، إلى غير ذلك مما كنا لا نظن أننا بحاجة لتضييع الوقت في مناقشته ، ولكن نظراً لانتشار هذه الدعوات في كثير من البلدان ، وأن كثيراً من الشباب صاروا يبعثون لنا ببعض شبهات أولئك القوم فقد رأيت أن أناقش في عجلة سريعة أهم ما يتعلق بتلك الدعوة وبيان مخالفتها لأصل الدين فأقول وبالله التوفيق :

1- إن القرآن الكريم الذي يزعم هؤلاء أنهم يكتفون به قد أمرنا أمراً قاطعاً باتباع

النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلا فما معنى قوله تعالى : ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما

نُهاكم عنه فاتتهوا ) الحشر: 7، وقوله : ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ) النور : 63، وقوله : ( قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ) آل عمران 32، وقوله : ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ) النساء 59، إلى آخر هذه الآيات القاضية باتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم وعدم مخالفة أمره .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ( قل أطيعوا الله والرسول ... ): (( ... ( فإن تولوا ) أي خالفوا عن أمره ( فإن الله لا يحب الكافرين ) فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس ، الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه ما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته )) . (تفسير ابن كثير: 468/1)

2- وهذا الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم أمر عام ، وكذلك النهي عن مخالفته صلى الله عليه وسلم نهي عام ، لا يشترط فيه أن يكون الأمر أو النهي مجرد تأكيد لما جاء به القرآن الكريم ، كما يزعم بعض أصحاب الدعوة المشار إليها ، ويعبر عنه بعضهم بأن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم مشروط باتباع الرسالة ، وذلك أنا نعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من مخالفة الرسالة ، وكل ما نطق به مما أمر بتبليغه فهو حق لأن الله تعالى يقول : ( وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ) . والسنة الصحيحة مع القرآن الكريم كما قال الإمام ابن القيم (( على ثلاثة أوجه أحدها أن تكون موافقة له من كل وجه فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها ، الثاني أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له ، الثالث أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمة لما سكت عن تحريمه ، ولا تخرج عن هذه الأقسام فلا تعارض القرآن بوجه ما ، فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته ، وليس هذا تقدماً لها على كتاب الله بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله ، ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى وسقطت طاعته المختصة به ، وإنه

إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه لم يكن له طاعة خاصة تختص به وقد قال الله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء 80 (...)) إعلام الموقعين 323/2

وأصحاب هذه الدعوى يزعمون أن السنة إذا أثبتت حكماً جديداً لم يرد في القرآن فإنها تكون بذلك مخالفة له ، وهذا من أبطل الباطل ويرده ما أشار إليه ابن القيم من أن الله تعالى قد أمر بطاعة نبيه طاعة خاصة به ، والآيات الآمرة بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباع أمره واجتناب نهيه ، ليس فيها هذا الشرط الذي اشترطوه ، فأين في قوله تعالى : ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) أين في هذه الآية أن ذلك مشروط بعدم المخالفة للقرآن بالمعنى الذي ذهبوا إليه ، وهو أن لا تأتي السنة بحكم جديد ، وكيف يتأتى ذلك والأمر في الآية الكريمة جاء بصيغة (ما) الموصولة الدالة على العموم كما هو مقرر في علم الأصول ؟

3-- ثم إننا نسأل كل من يزعم الاكتفاء بالقرآن الكريم سؤالاً واحداً ألا وهو أن الله تعالى قد أمرنا في القرآن قد أمرنا بالصلاة فكم ركعة نصلي الظهر وكيف تؤدي هذه الصلاة ؟ فإن وصفوا لنا صلاة المسلمين قلنا لهم أين في القرآن الكريم هذا الوصف ؟ فإن كيفية الصلوات وعدد ركعاتها وكل تفصيلاتها إنما علمناه من السنة لا من القرآن .

وإن وصفوا لنا شيئاً آخر قلنا لهم أين في القرآن تلك الصلاة التي اخترعتموها ؟ أم تريدون منا أن نترك ما سنه لنا نبينا صلى الله عليه وسلم لنتبع أهواءكم واختراعاتكم ؟ ولذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله : (( قال الله تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وقال : ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) وقال : ( وأتموا الحج والعمرة لله ) ثم بين على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلوات ومواقيتها وسننها ، وعدد الزكاة ومواقيتها ، وكيف عمل الحج والعمرة ) [ الرسالة ص: 31 ]

فكل من رام طاعة الله تعالى فيما أمر به من الصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك فلا مناص له من طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في بيان كيفية أداء تلك العبادات وشروطه وتفصيل أحكامها ، ولا بديل عن ذلك إلا الضلال المبين ، ومخالفة شرعة رب العالمين .

4- وقد رأيت بعضهم يستدل بما جاء في القرآن الكريم من كون الرسول مبلغاً عن ربه تعالى، فيزعم أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم أو أي رسول آخر هي فقط تبليغ الرسالة وليس إصدار تعاليم أخرى، ليتوصل من ذلك إلى عدم وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم فيما أمر به أو نهى عنه.

وأقول إن الآيات التي فيها التأكيد على أنه ما على الرسول إلا البلاغ إنما جاءت في معرض نفي أن يكون الرسول مسؤولاً عن ضلال من ضل فالقرآن يؤكد للنبي صلى الله عليه وسلم أن ما عليه هو فقط أن يبلغ الرسالة للناس، أما مسألة أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا فهذه ليست إليه إنما هي لله تعالى كما في قوله تعالى: ( وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ) المائدة 92، وقوله: ( فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ ) الشورى 48، وهكذا باقي الآيات لا تجد فيها أدنى إشارة إلى أن المقصود بكون النبي ليس عليه إلا البلاغ، أنه لا يجوز له أن يسن لأتباعه سنة يتبعونها فيما لا يخالف كتاب الله تعالى.

ثم إن هذا الذي يسمونه تعاليم أخرى ليس شيئاً مخالفاً للرسالة التي أمر النبي بتبليغها؛ ففرق بين أن يأتي الرسول بأقوال وأفعال تؤكد ما أرسل به ولا تناقضه، وبين أن يأتي بشيء يناقضه، فالأول لا يمكن أن يسمى تعاليم أخرى لأنه لا يناقض القرآن الكريم بل يؤكد عليه ويوضحه، والثاني هو المذموم ولكنه ليس بموجود، ونحن نتحدى أي إنسان أن يأتي بحديث صحيح يخالف صريح القرآن الكريم.

للموضوع صلة